قصة قصيرة

أنا ربكم

شروكين

قصة قصيرة

أنا ربكم

كريم جرو

أحكم (ترودار) قبضـــته على نتوء بارز لحافة الصـخرة، بينما ثبت قدمه على الحافة الســفلية منها. أطلق بحة مخنوقة وهو يكتم أنفاسه. انفلت غطاء رأسه من شدة الريح وراح يدور ويتقلب على الصخور نازلا بسرعة أسفل الجبل. نظر الى أسفل قدميه يتابع سقوط الغطاء حتى اختفى بين الدم والبخار الكثيف المنبعث من الغابة.

اعاقته صـخرة لبلوغ القمة. في نهاية هذا النتوء الصـخري تمتد ســلالم صـخرية متعرجة الى الكهف. الم به الإرهاق والتعب وهو معلق في الأعلى. كانت الريح شـديدة وبارة في الأعلى، كلما حاول اسـتعادة قواه في التشـبث انفلت يده الأخرى او قدمه، مما فقد عزمه على المحاولة مجدداً خشـيت ان يفقد توازنه في احدى المحاولات ويسـقط من ارتفاع شـاهق حتمي الموت. وان لم يقدر له الموت فسـوف يكون سـقوطه في الغابة التي فر منها ونجى بأعجوبة. ضحك ساخرا بعد ان فكر في اختيار أي طريقة يموت فيها.

البرد القارص اخذ منه مأخذاً، حتى الشـمس لم تشـرق عليه بسـبب كثرة السـحب الداكنة، ولم يعاتب القدر كعادته في كل مرة. أنتظر معجزة تنقذه. لكنه يعلم ان المعاجز محظ خر افة. بينما الريح تعوي بين شـقوق الجبل سمع (ترودار) قعقعت الحجارة وهدهدت الصخور وهي تنهار من تحته. أدرك انها النهاية المحتومة. عندما اندفع ثعبان أسـود كبير خارجاً من بين الصخور وراح يحس ويزحف صـعوداً، فمر قريباً منه فألقى نفسـه على ظهره لم يمســك بجلده الاملس فانزلق منه ثم علقت حذائه في بروز يشـــبه الزعنفة وتدلى على رأســـه وهو ينســـاب على سـلالم الجبل. وراح نحو شـق واسـع في الجبل. حاول بكل وسـيلة الافلات منها لكنه لم يقدر على تخليص نفسـه. حتى مع اسـتعمال خنجره محاولا قطع الجزء العالق لكن محاولته باءت بالفشل بعدما انفلت الخنجر ووقع منه بين الصخور. فجأة فغط في ظلام دامس، ودخل الثعبان في نفق معتم وبارد، أسـتسـلم (ترودار) لنهايته البائسـة. لولا ان الثعبان تباطء قليلاً في زحفه، فظن (ترودار) أن الثعبان شـــعر بوجوده، ولن يفلت من فكه. فتوقف الثعبان ونزع جلده داخل النفق فانفلت (ترودار) مع الجلد المنزوع ووقع على الأرض اللزجة. وخبئ نفســـه في الظلام و انتظر ير اقب الثعبان، فلما انتهى انسل بعيدا ودخل شق اخر.

مكث (ترودار) في مكانه لا يقوى على السير من شدة البرد والظلمة.

عند نهاية الكهف، كمن (ترودار) خلف جدارٍ صخري ير اقب فشاهد قبو كبير تضيئه سبعة مشاعل معلقه على جداره الدائري. نهض بحذر وراح يخطو على مهل الى الداخل حتى دنى من توسط القبو وتوقف قرب دكة حجرية منحوتة بإتقان على شكل نجمة خماسية، بينا هو يتفحص المكان وإذا بأصوات تشبه الهسيس تأتي وتختفي من مكان خفي فلا وجود لأي منفذ في جار القبو عدى مدخله. خلع ازاره الخشـــن من على ظهره وطرحه على الدكة. تشمم رائحة البخور بأنفه المستدق الشاحب. نادى بصوتٍ عالي:

- أيها الشيخ. أين انت؟ لما انت متخف عني؟

تردد صداه في القبو وتصنت بعدها ومال برأسه يسترق السمع، فلم يجبهُ أحد ولم يسمع سوى صوت حسيس النار في المشـاعل، جلس على الدكة الحجرية، فجأة تغيضـت النار واشـتدت في المشـاعل واسـتطالت السـنتها عالياً. انتفض (ترودار) من مكانه و انتبذ بعيداً، ارتجفت يداه قرعاً، مسـح جبهته وهي تتصـب عرقاً. فانفجر وصاح:

- «أ تخالني أخاف من الموت أيها العجوز المشعوذ؟» وضرب بعنف صدره بقبضته ثلاثاً وقال مزمجراً:

- «لقد اتيتك هرباً من العذاب والبؤس الذي عانيته منذ ولادتي. ولدت يتيماً، انا ميت باي حالٍ من الأحوال فلا داعي لإخافتي، أخرج الي وكلمني»

تطاولت ألسنت اللهب عالياً ولعقت سقف البهو، عبئ الدخان الأسود المكان بالكامل. وسقط على الأرض مختنقاً يتمرغ ويرفس وغاب عن الوعي. استفاق (ترود) بعد أن تلاشى الدخان وهدء المكان فوجد نفسه مقيداً بالحبال مرمياً على الأرض. رفع رأسه فلم يتبين له وجه ذلك الكيان المنكمش وقد غطا شعر راسه الكثيف نصف وجهه الذابل. فقال:

- «هل انت خائفُ مني؟ أ ومثلك يخشى مثلي؟» ثم ضحك وقال:

- «ظننت ان عفريتاً سيلتهمني او شيطاناً من شياطينك، لكن لا شيء مما سمعت عنك عدى الثعبان المغفل»

- «ماذا سمعت عني؟»

قال (ترودار): «جن، عفاريت، ومردة وشياطين، حتى الأرواح التي تسكن الغابة القريبة من الجبل هي من تسخيرك أيضاً»

زفر العجوز الساحر بحنق وقال:

- «ما الذي أتى بك الى هنا؟ هل أرسلك الملعون (جورداري) لقتلي؟»

- «المغفل (جورداري) يخشى ذكر اسمك، انه امر بحبس كل من يذكر اسمك. حتى نسته اهل مملكة (جيدون). ناهيك عن الحديث بالسحر. فأنه يعتبر اسمك جالباً للعنة والشؤم على حكمه للمملكة»

لم ينبس العجوز الساحر بكلمة واحدة، فضرب بعصاه الغليظة مشعلاً كان على مقربة منه فلم يصبه.

ضحك (ترودار) عليه وقال:

- «يبدو أنك كفيف أيها الساحر الم تسقط نسراً من السماء بنظرك الخارقة؟ كرر (سارغار) محاولته مرة أخرى، ورسم في الهواء خط مقوس على جانبي المشعل، وصاح:

- «يا خادم الناروسيدها، طع واخدم سيدك (سارغار)، واحضر الان عاجلاً.» فانبثق من النار لهب عظيم وتضخم حجمه وصدر منه صوت هجيج صاخب وهو يقول:

- «خادمك (أيثوخ) يا سيدي»

رأى (ترودار) عفريتاً من النار قائماً يقبض على سوط من اللهب المستعر، وهو يجرش وفمه مغفورا ينبعث منه الدخان، يستطيع التهام عشر خيول صحاح نفث وزمجر.

صاح (سارغار) على العفريت وزجره وقال:

- «بأمر صاحب الناروسيدها آمرك ان تدعو كل مردة الجن ان يحضروا الان. لقد تمادى الشروطغى، ينبغي محاربته» ودلف الساحر الى الجدار، فانشق له و انسل من خلاله و انغلق.

أطلق العفريت صرخة مهولة وصفق الهواء بالسوط فتدكدكت الأرض واهتز الجدار والسقف، فتساقطت شقف الحجارة من الجدران وهوت من اعلى ولدمت الأرض لدماً كادت ان تصيب واحدة رأس (ترودار)، و انثار الغبار من حوله فامتزج مع النار والدخان. وجاء من خلف الجدران صوت دوي وجلبة كأنها صوت اقدام الخيل وهي تعدو مسرعة. وازداد صخب الأصوات. فانشق الجدار الى شقوق و انفرجت منه جحوروبو ابات فإذا تنكشف له عن ارض مجدبة بيداء قد ملئت بأجناس المخلوقات الغريبة لم تكن من الجن اصلاً لم يسمع بها

قط لا يحيط خلقتها وصف ولا شبه. صفق (أيثوخ) سوطه في الفراغ مرة أخرى فتلاشى كل شيء بلمح البصر. كان (ترودار) مذهولاً من هول ما رأى عندما عاد الساحر (سارغار) قابضاً على عصاه بظهرٍ محدودب ودنى منه وجلس، وقال:

- «انا على يقين أن (جورداري) لن يجرأ على أرسال مسخ منبوذ مثلك لقتلي، ولكن أخبرني ما نية قدومك الى هنا؟» كان صوته يخرج مبحوحاً وهو يتحدث من بلعومه البارز، فقد شاهد (ترود) جلده يلتصق على عظامه بينما (ترودار) رد وسأله بمكر:

- «هل تنوي محاربة الشيطان؟»

أرتجف (سارغار) وشحب لونه شحوب الموت عندما سمع وقال:

- «لن يقدر أحد على ذلك، انا متيقن جداً»

نظر (ترودار) في وجه (سارغار) الذابل، وبدا له يائساً وقال:

- «لو كنت املك خدماً من الجن مثلك، لأعلنت حربي معه، لو أنك سخرت لي هذا العفريت المدعو (أيثوخ) لكفاني حقاً؟» وهو حول نظره بعيداً عنه. فرد (سارغار) وقال:

- «حتى مردة الجن والشياطين لم يقدروا على بلوغ مكانه الخفي، لقد أضناني البحث طيلة أربعون سنة ولم أبلغ مرادي» قال ذلك بمرارة، وقبض على لحيته الشائبة و ابتلع ريقه بصعوبة.

حرك (ترودار) جسده بتململ وهو مقيداً وقال:

- «بما ان عدونا واحد، ما رأيك ان نبرم اتفاق مشترك؟»

ضحك (سارغار) بوهن ساخراً منه وقال:

- «لا يمكن الوثوق بمسخ ماكراً مثلك. فأنت لا تقل شراً عن (جورداري)» وقام من مكانه ودلف الى الجدار مشيراً بعصاه ورسم بالهواء فانشق الجدار له، بينما (ترودار) صاح عليه من الخلف بصوت حاد وقال:

- «أيها المومياء الميتة، ماذا تنتظر من حياتك بعد، لقد نال منك (جورداري) واماتك حياً، لقد جعل منك ساحراً منبوذاً في الجبال والكهوف، و انت تبحث عن شيطان من الوهم» توقف الساحر هنيهة متأملا ما قاله (ترودار). استدار اليه وأشار اليه ان يكمل، فقال (ترودار):

- «لا اخفيك سراً! انا ناقمٌ على اهل (جيدون) الذين استعبدهم (جورداري) فانهم نبذوني وتركوني أعيش مع الحيوانات في الاسطبلات والحضائر، افترش روثها و أنام كل ليلة منذ أربعين سنة، رائحة البول تملأ ثيابي البالية. لا أنكر أني اكمن في صدري الشر العقيم وهم ينادونني المسخ، حان الوقت لننتقم من هؤلاء»

غرز الساحر أصابعه المتخشبة في لحيته يحك ويفتل ثم قال:

- «اذن انت تريد استغلالي من اجل انتقامك لنفسك، يا لك من شيطان»

ثم شاح بوجه. بينما (ترودار) قال:

- «الشيطان الذي تبحث عنه يجلس على عرش مملكة (جيدون). لقد جعل من نفسه إله يعبد، وجعل منك شيطان يلعن كل يوم في صلواتهم، أن كنت متيقن انني اكذب اقتلني، فلم اعد ابالي بالموت»

أشار (سارغار) بعصاه نحوه فارتخت الحبال وفلتت منه وسقطت ارضاً، بينما (ترودار) مسح ذراعيه وكفيه براحه وقال:

- «يبدو أنك اقتنعت اخيراً أيها الساحر؟»

رد عليه قبل ان ينصرف وقال:

- «لن اذهب لإنقاذ من صاروا يلعنونني في صلواتهم، أنت حر. اذهب ان شأت»

وقبل أن يغلق الجدار عليه قال (تروادر):

- «في المملكة من يخفون ولائهم لـ (سارغار) الحكيم، هؤلاء يستحقون منك التضحية»

غُلق الجدار على الساحر وبقي (تروادر) في القبو لوحده. وعم الصمت في المكان. مكث (تروادر) يفكر ملياً ويذرع القبو جيئة وذهاب. تناول معطفه من على الدكة الصخرية وخلع مشعلاً معلقاً على الجدار و انطلق من البو ابة الضيقة للقبو خارجاً.

عند نهاية الممر المظلم. وقف حاملاً بيده المشعل والظلام يدثر الغابة أسفل الجبل، والريح تصفر بين شقوق الجبل وصخوره، عندئذ لمح بين الصخور خنجره يلمع في ضوء المشعل، نزل اليه ملتقطاً أيها واعاده في خصره ولما أحس ببرودة المكان لف معطفه حوله جيداً. ونزل الى السلالم. بعد ان وصل الى فجوة في الطريق أحدثها الثعبان -تلك المرة- عجز عن اجتيازها وتوقف متحيراً، خبت نار المشعل و انطفئت بتأثير الريح العاتية. لكن (سارغار) نادى عليه من الخلف وقال:

- «اتراك تستطيع عبور الغابة هذه المرة من دون حمايتي؟»

جفل (تروادر) واهتز قرعاً حينما التفت الى الوراء، فلم يجد احداً خلفه. ثم سمع صوت قرقعت الصخور واصطكاكها، ثم اهتزت الأرض وربت من امامه. فانهدت الأرض وخرج من تحتها ثعبان برأس ثور له أنياب فيل وقرون وحش واستطال امامه وقال له:

- «أركب على ظهري حالاً»

تراجع (تروادر) القهقري وسقط على قفاه خرسان. فقال له الثعبان:

- «لا تخف، انا عفريت من خدام (سارغار). أرسلني اليك لحملك الى خارج الغابة، اركب الان بسرعة»

مسك (تروادر) زعنفة قريبة برزت من جانب الثعبان وتشبث بها وصعد. فحمله الثعبان و انساب بين الصخور لأسفل وراح في الظلام.

وصل (سارغار) قصر الملك (جورداري)، بعد انتصاف الليل، يحمله مارد يدعى (ليتغليطارش) ذراعه بطول شجرة بلوط، وبعده (تروادر) على ظهر الثعبان ونزل (سارغار) في ساحة القصر الامامية. وتقدم نحو حارسان يقفان عند البو ابة. مدججين بالأسلحة والدروع الحديدية. بينما (تروادر) نزل وفضل البقاء خارجاً. لم يتبين الحارسان قدوم شخص غريب بسبب الظلام. اذ كانت المشاعل في الساحة مطفأة بسبب الريح العالية عدى مشعلين عند البو ابة ضوؤهما ذاوي، ولاح لهما من بعيد شخص بهيئة غريبة، همس أحد الحراس لصاحبة وقال:

- «الجميع كامنٌ في منزله هذه الليلة المزعجة؛ بسبب البرد والريح الهوجاء. أي أحمق هذا الذي نراه؟»

استل أحدهما سيفه لما احسى باقتراب الغريب منهما، ونادى عليه بحدة:

- «أيها الغريب، قف في مكانك وعرفنا من انت؟ وأن امتنعت ستلقى منا حرارة السيف» ما كان من (سارغار) سوى تحريك عصاه بحركة في الهواء حتى انفلتت سيوفهم و انقذفت في الهواء بعيداً عنهم. وظهر وجهه امامهم. فصاح أحدهم بذعر:

- «أنه (سارغار) المشعوذ»

ركض الحارس لقرع جرس التنبيه، لكنه تعلق من قدميه مقلوباً ورفع عاليا عندما أمر (سارغار) على جني كان يقف خلف صف من الارهاط المتجمعة من الجن. تراجع الحارس الاخر الى الوراء ورفع يده مستسلماً ولم يبدي أي مقاومه، تمتم (سارغار) بكلمات غريبة، وحرك عصاه فتكسرت اقفال البو ابة. فانفرجت أمامه، وعندئذ هجمت جيوش الجن وأشباح الغابة، بأعداد هائلة، كأنها ريح سوداء داكنة اندفعت ككتلة واحدة ودخلت القصر. وهي تدوي وتهس، بينما (سارغار) وقف امام البو ابة. سُمع داخل القصر جلبة وضجيج. وضرب السيوف، تعالت صيحات الحرس وصراخهم. ثم تلاشى صوت الصراخ والسيوف وسكن فجأة.

عبر (سارغار) الى القاعة الكبيرة وخطى من فوق جثث الجنود المقتولين. وطئ برجليه الحافيتين أرضية القاعة الرخامية فالتصقت الدماء بهما و أكمل مشيه دون اهتمام. جثا قائد الحرس مع نفر قليل من الجنود المأسورين على ركبهم مجردي الأسلحة. بينما اقتيد الملك (جورداري) بأمرٍ منه وجيء به الى القاعة بثياب النوم مكبلاً، عاري الرأس، منفوش الرأس، قد أصيب بخدشٍ في جبهته.

صعد (سارغار) سلالم العرش المستديرة، وجلس على الكرسي وقال:

- «أضربوا ناقوس القصر ليحضر جميع اهل (جيدون) الى القصر، ليشهدوا نهاية ملكهم المتجبر»

مضى الوقت فيما كان اهل المملكة يتو افدون على القصر الملكي، بعد ان سمعوا صوت الاجراس من منارة القصر. احتشد الناس في ساحة القصر وحديقته الامامية حاملين المشاعل والمصابيح، وازدحمت قاعة العرش الكبيرة بالناس، وقفوا كالأصنام بلا حياة مادين اعناقهم و أبصارهم شاخصة نحو (سارغار). وهو جالس بلا حركة كأنه ميت. فانسل من بين الو اقفين (ترودار) ملثماً خشية ان يعرفوه. وتقدم للأمام. همهم الو اقفين وهم ير اقبون باهتمام بالغ، وهمس بعضهم الى بعض وقالوا:

- «ما هذا الحال الذي وصل اليه (سارغار) الحكيم؟» نبس اخر: «ثيابه رثه وهزيلة. انه هرم جدا شاحب الوجه كالميت. انه غير جديراً بالحكم» اعترض اخر وقال: «صمتاً، فانه لو علم بما نفكر لسلط علينا جنوده من الجن والمردة. سنقر بالطاعة له شأنا ام ابينا»

صنت (ترودار) الى كلام هؤلاء الثلاثة من دون ان يشعروا به. طال صمت (سارغار) وهو جالس وعلى مقربة منه جثا رجل على ركبتيه مقيد اليدين والقدمين، غطوا رأسه ووجه بكيس من القماش. بدا المحتشدون يتهامسون فيما بينهم، ما بين مؤيد وما بين معارض. فحدث خب في القاعة فصاح (سارغار) بصوت وحشرج صوته وقال:

- «أهل (جيدون) ينعتونني بالساحر المشعوذ، حليف الشيطان. وهذا افتراء محض. وسأثبت لكم ذلك.. وسأل: من منكم لا يتذكر الحكيم (سارغار) صاحب الزهد والتقوى والورع؟ وسكت ينظر في والوجوه القاطبة. فلم يجبه أحد. فراح يكمل خطبته عليهم وقال:

- «نفيت الى الجبال والكهوف الباردة المظلمة بحجة انني مارست السحر والشعوذة! وهذا رجس من عمل الشيطان! وقيل انني بعتُ روحي للشيطان. لم افعل ذلك. لكنني مارست السحر حتى أنهي تحالف الشيطان مع هذا الفاسد الذي ترون. وأشار على (جورداري). وقد بلغت مرادي بعد أربعين سنة وهذه الليلة ستشهدون بأعينكم كيف انهي هذا التحالف. صاح (ترودار) من بين الناس وقال:

- «كلاكما حليفٌ للشيطان، والامر سيان لكليكما. وتستحقان الموت معاً»

التفت (سارغار) الى مصدر الصوت لكن (ترودار) اثار ضجة بين الناس فالتبس الامر على الجميع سرعان ما ارتعب الجميع وسكت عندما امر (سارغار) المارد (أيثوخ) بالظهور أمام المحتشدين. فأصابهم الذعر وتدافعوا ووطء بعضهم بعضاً. وفر من كان قرب البوابة الى الخارج. ثم رفع (سارغار) يده واستكانوا في أماكنهم وقال:

- «باستطاعتي حرق الجميع بلمح البصر ولكني لست ظالماً كما تظنون. ولكني ظُلمتْ، وحُوربت من قِبل (جورداري) لأنه كان ير اني عائقاً امامه لتنفيذ فكرته الشيطانية باستعبادكم بعد ان يعقد حلفاً مع الشيطان، فخاف ان اكشف لكم امره، أنا ما اتيت الا من اجل لتخليصكم منه»

دنى (ترودار) من سلالم العرش وصار على مقربة من (سارغار) وقال:

- «عجل إذن في قتل هذا الظالم وخلصنا من شره»

ولم يعرف (سارغار) من هذا الذي تكلم فقال:

- «يبدو أنني سمعت هذا الصوت من قبل، فليكشف عن نفسه امامي وله الأمان، قبل ان يكشفه لي خادمي (أيثوخ)»

اماط (ترودار) اللثام عن وجهه وقال:

- «عجل أيها العجوز في قتل الشيطان قبل ان ينقلب الامر عليك»

ابتسم (سارغار) له أشار له ان اقترب صعد (ترودار) السلالم ووقف بجانبه. وقال:

- «هذا (ترودار) الذي تنادونه بالمسخ. نبذتموه مثلي، له الفضل في اقناعي بالقضاء على صاحبكم، ولولاه لبقيتم عبيداً لـ (جورداري). (ترودار) المسخ أرشدني الى الشيطان الحقيقي، وليس الوهم، علمني ان شياطين الانس أكثر شراً من شياطين الجن. يا اهل (جيدون) طيلة أربعين سنة لم يفرق (سارغار) الحكيم بين الشرين و انا مدينٌ له بحياتي. و أنتم كذلك يا اهل (جيدون) مدينون له بالفضل، أيها المردة والعفاريت من الجن آمركم ان تسجدوا له وتطيعوا امره الان»

سجد العفريت (أيثوخ) وكل من معه من العفاريت ومردة الجن في القاعة. فلما فرغوا ورفعوا رؤوسهم أشار (سارغار) الى (أيثوخ). فضرب العفريت (جورداري) بسوط اللهب فأحرقه امام الناس. وتفحم في الحال، وتهشم وصار رماداً. شاهد الجميع مصير (جورداري) المتجبر. فخافوا سطوة (سارغار) فسجدوا له جميعاً. عندما استدار (سارغار) ليجلس على العرش حاكماً، استل (ترودار) خنجراً اخفاه في حزامه وطعن (سارغار) بظهره ثلاث طعنات متوالية. فهوى العجوز الساحر على الكرسي وسقطت عصاه وتدحرجت بعيدا على السلالم. أرتطم رأس (سارغار) في ذراع الكرسي وشق جبينه. تكوم (سارغار) وصار جثة هامدة على الكرسي، فجره (ترودار) من رجله وزاحه عن الكرسي الملوث بالدماء، وطرحه ارضاً واحتز رأسه امام الجميع. فجلس على الكرسي ووضع الرأس تحت قدمه وصاح بغضب مفرط:

- «أنا ربكم الأعلى» سجد الجميع له، انسٌ وجن.

انتهت